المشرق

البرهان الصريح
في اثبات ألوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي

في ستَّة اعداد من مجلَّة المنار المصريَّة الاسلاميَّة (ع ٤ الى ١٠) في العام المنصرم مقالات واسعة تحت عنوان « بشائر عيسى ومحمَّد » بامضاء « الدكتور محمَّد توفيق افندي صدقي الطبيب بسجن طره بمصر » زعم فيها كاتبها انَّهُ ينقض اساس الديانة المسيحية فيظهر بطلان حجج النصارى في ألوهيَّة المسيح فكتب ستَّة فصول في نحو مئة صفحة قدَّم عليها مقالة عن القرابين والضحايا تتبَّع في كلها بعض نصوص الاسفار المقدَّسة مدَّعياً انَّها لا تصدق عن السيِّد المسيح بل هي اولى بنبيهِ (١. فلم يمكنَّا السكوت عن هذه المناحكات والافتراءات فعزمنا على ردّ هذه الحجج الواهنة واثبات وجه الحقّ امتثالاً لقول معلِّم هامة الرسل في رسالته الاولى (٣: ١٥) حيث قال: « كونوا مستعدّين دائمًا للاحتجاج لكلّ من يسألكم حُجج الرجاء الذي فيكم ولكن بوداعة ومهابة ». وعليهِ فانَّنا نضرب صفحًا عمَّا نسبهُ الكاتب الى نبيهِ من كتبنا المقدسة ونكتفي بالدفاع عن حقيقة معتقدنا بالوهيَّة السيِّد المسيح . واستكفافاً من الخصام والجدال اللذين لا يجديان نفعاً في غالب الاوقات قصدنا ان

---

١) والعجب ان بعض المسلمين اذا جادلوا النصارى تلوا آيات الاسفار المقدسة ولا ينسبون اليها التحريف الَّا اذا وجدوا فيها شيئًا لا يوافق آراءهم

لا نعود نأتي في ما سنقول بذكر مجلّة المنار ومكاتبها الدكتور محمّد توفيق افندي صدقي ليكون كلامنا عامًّا يشمل كلّ القرّاء من ايّ دين كانوا فلعلّهم يذعنون الى اليقين « فيعرفون الحقّ والحقّ يحرّرهم » كما قال الربّ (في يوحنّا ٨ : ٣٢)

مقدّمات

في مقالاتنا التالية نفترض امورًا لا بدّ من تقديمها لئلّا تكون حججنا مبنيّة على ركن فاسد - واوّلها صحّة اسفار العهد الجديد واخذها الاناجيل الاربعة المقدّسة باعتبارها ككتب تاريخيّة محضة كما بيّن الامر حضرة الاب انطون رباط في مقالاته المقرونة بالانجيل الشريف (١ التي لم ينقض احد حتى الآن ادلّتها الواضحة

وكذلك اسفار العهد العتيق سواء كانت اوّليّة يعترف بصحّتها اليهود والبروتستانت مثل الكاثوليك او ثانويّة لم تُكتَب في الاصل بالعبرانيّة بل في اليونانيّة او الكلدانيّة واقرّ معظم اليهود بصحّتها قبل المسيح اذ هم نقلوها لبطالسة مصر في القرن الثالث قبل الميلاد في ترجمتهم السبعينيّة وحاجّهم بها المسيح ورسلهُ

ونضرب الصفح ايضًا عن سرّ الثالوث الاقدس الذي يقتضي اثباتهُ ادلّة خاصّة قائمة بذاتها - كما اننا في ذكرنا للكنيسة لا نعتبرها الّا كجمعية دينيّة بحتة مع صرف النظر عن خواصّها وتمييزها عن بقيّة المجتمعات الدينيّة

نفهم بالالوهيّة كون السيّد المسيح الجامع في شخصهِ الكريم الطبيعتين الالهيّة والبشريّة ليس هو الّا اقنوما واحدًا كما انّ كل واحد منّا هو انسان فرد قائمٌ بعنصرين مختلفين هيولي هو الجسد وروحي هو النفس - وكما انّ للانسان الواحد اعمالًا هيولية تتمّ في جسدهِ كالاكل والشرب واعمالًا روحيّة تتمّ بقواه العقليّة كالفكر والارادة وكلّها مع ذلك تنسب الى شخصهِ فكذلك للسيد المسيح اعمال بشريّة اتاها في ناسوتهِ كالنوم والشبع والتعب والولادة والموت واعمال الهيّة قام بها لاهوتهُ كالمعجزات العديدة التي صنعها امّا في ذاتهِ وامّا في غيرهِ كتجلّيهِ في جبل الطور وكاقامتهِ الموتى. ومصدر هذه الاعمال المختلفة هو الشخص الواحد الالهيّ الذي وحدهُ

(١ وهذه المقالات قد طُبعت على حدة وهي تباع في مطبعتنا الكاثوليكيّة

امكنهُ ان يقول دون كفر وتجديف : « انا نور العالم . انا الطريق والحقّ والحياة . انا والآب واحد » ولولا الوهيتهُ لحقّ لليهود ان يصلبوهُ ويقتلوهُ لانَّ كلاماً مثل هذا لا يصحّ لبشر

*

انَّهُ لأَمر مقرَّر تشهد لهُ التواريخ القديمة وتقاليد الامم باسرها انَّ العالم كان في عهد المسيح ينتظر مخلّصاً ينقذهُ ممَّا لحق بهِ من الشرور المتفاقمة والفساد العامّ الذي حطّ بهِ الى اقصى درجات الذلّ والهوان

ولبيان الامر يكفي العاقل المتروّي ان يلقي نظرًا خفيفاً الى حالة الدنيا قبل السيد المسيح فيرى ما كانت صارت اليهِ من الانحطاط الأدبي والضلال المطبق وذلك حتى بين الامم الارقى رتبةً في سلّم الحضارة الماديَّة والارفع مقاماً في معارج العمران المدنيّ كالبابليين والمصريين والفينيقيين واليونان والرومان

فانّ تآليف المؤرخين والآثار العديدة المكتشفة في العصر الاخير في كلّ انحاء الشرق جاءت متناصرةً متعاضدةً تتّفق كلّها في وصف فساد اديان تلك الامم وتعاليمها البذيئة وابتزارها النجسة الدنسة . فان اقاصيص آلهتهم واعمالها الشريرة لممَّا يندى لهُ الجبين خجلاً اذ نسبوا اليها كلّ الاهواء البشريَّة الرجسة فقدَّسوا اقبح الشرور والآثم في آلهتهم ليزكّوا نفوسهم باقتدائها فكان زُحَلُهم (ساتورنوس) شرّ الآباء يلتذي بلحوم ابنائهِ . وكان مشتريهم (جوبتير) زانياً . وزُهرتهم (ڤانوس) عاهرةً وبرَيخهم (مارس) جلفاً قتّالاً . وعُطاردهم (مركوريوس) سارقاً . وباخوسهم سكيرًا فاذا احتفلوا باعيادهم كتموهم باقتفاء مآثمهم . ومن اطّلع على ما كتبهُ في ذلك اليونان والرومان رواد التحدّث عن بعثة ما يرى في تآليفهم من العبارة في الامور الدينية فكانوا لاكرام آلهتهم يأتون بأفظع المنكرات واقبح الارجاس كعرض بناتهم في الهياكل للفحشاء ونصب التصاوير النجسة والطوافة بها في الساحات . وكانت اسرار ألوسيس (Eleusis) وكيبال (Cybèle) تقام في جنح الظلام وفي اسراب الهياكل لئلّا يفضح بكشفها اصحابها

وما كانت اديان البابليين والمصريين ارقى واشرف فانّهم كانوا ألّهوا مواليد الطبيعة كلها من جماد ونبات وحيوان فعبدوا الحجارة الصمّاء وضروب الاشجار

كالنحل والسرو واخسّ الحيوانات كالحيّات والهِرّة والخنافس والثعالب. ومن اراد الوقوف على آلهتهم كفاهُ ان يدخل بعض متاحف المدن الكبرى كلندن وباريس وبرلين والقاهرة فيعوذ بالله من جهل اولئك الشعوب بل من جنونهم

ولدينا في انحاء الشام ما ينطق بلسان حاله عن نجاسة الاديان القديمة . فانَّ آثار عبادة عشتروت الفينيقية وملوخ الكنعانيّ وادونيس الجُبَيليّ لا تزال باقية في جوارنا فكانوا في أفقا والمنيطرة وبعلبك ينذرون فتياتهم وفتياتهم للعهارة ويضحّون اولادهم للوخ فيلقونهم كحرقة في النار . وكانوا في حمص يعبدون حجرًا سودا. وفي سواحل فلسطين بعل زبوب (اي بعل الذبان) والاله داجون (اي التنين او الحوت) فيقترفون في معابد هذه الالهة الخش المآثم من مخاجعة ذكران وقتل رجال ولاسيما اطفال صغار وجدوا مؤخرًا هياكلهم المنبئة بتضحيتهم في انقاض اريحا

ولم تكن هذه الاعمال والتعاليم منحصرة في العامّة بل شملت ائمّة المتأدبين والفلاسفة . فانهم مع اقرارهم بانَّ العقل البشريّ يثبت توحيد الاله كانوا يمارسون الشرك كغيرهم من الناس ولا يجسرون على المجاهرة بمعتقدهم خوفًا من الجمهور وترى في تعاليمهم حتى ارسمهم ادراكاً واثبتهم عقلاً آراء فلسفية في صفاته تعالى وحقيقة النفس البشريّة وآخرة الانسان ما يضحك منهُ صغارنا ويفندونهُ بما تعلّموهُ في اوّل سنّ الرشاد . فهذا سقراط الذي مع اثباته لوجود اله واحد حكم بوجوب اتّباع دين الشرك الوطني . وهذا افلاطون جنح الى مذهب الحلول . وهذا ارسطو ارتاب في خلود النفس . وهذا زرادشت جعل الشرّ إلهًا بازاء إله الخير . وهذا بودًا الهنود ذهب مذهب التقمّص وجعل الإله محلّل مجموع الكائنات . وما قولنا بالفلاسفة الأبيقوريين والكابيين وغيرهم ممّن كانوا يعلّمون علانيةً وجوب نبذ كلّ شريعة ادبية للاستسلام الى الشهوات العالية وقس عليه بقية مذاهبهم الفاسدة

نعم انَّ الله كان اتّخذ لهُ شعبًا مختارًا في بني اسرائيل فسهر عليه بعين عنايته وافاض عليه اسبغ نعمه وارسل اليه انبياءهُ لينقذوهُ من ضلال الشرك وفساد الامم لكنّهُ كان لا يزال يميل الى مفاسد الامم المجاورة لهُ حتى اقتضى الامر ان يؤدّبهُ الله ويضربهُ ضربات اليمة ليوقظهُ من سِنَتِهِ ويعيدهُ الى الصراط المستقيم . وكان في عهد المسيح قد عدل الى الاعتقادات الباطلة والخرافات الصبيانية السمجة التي لا

تليق بشأنه تعالى ويعجبها العقل السليم والتي تراها حتى اليوم مدوّنة في تلمودهم وهم يعتبرونها اعتبارهم لتوراة موسى واقاويل الانبياء بل يفضّلونها عليها. وكانت الاحزاب والشيع قد تعدّدت بينهم اخصّهم الفريسيون الذين مع محافظتهم على شريعة الربّ اضافوا اليها سُنَناً باطلة وتعاليم خاصّة وضعوها ليتحكّموا في سياسة الشعب اليهودي ويخدموا صوالحهم الشخصيّة. ثمّ الصدّوقيّون الذين نبذوا الايمان بالقيامة الاخيرة ليستسلموا للملذّات

تلك كانت حالة الدنيا من حيث الدين وما قولك بها من حيث السلطة والاجتماع البشريّ. فانّ الرومان كانوا منذ ٧٠٠ سنة مدّوا في انحاء الارض بجزم وثبات ظلّ سيادتهم وسعوا تحت الاقدام كلّ دولة تعرّضت لهم حتى سكتت الارض امامهم كما قال الكتاب عن الاسكندر. غير انّ هذه السلطة العليا التي رونقها الظاهر يبهر الابصار كانت محفوفةً بالمكاره وضروب العصبيّة والقهر. فانّ الرومان كادوا ان يستعبدوا قسماً كبيراً من الارض فانّ العبوديّة اضحت كقرح شنيع في جسم الانسانيّة اذ جعلوا نصف الارض عبيداً للقسم الآخر فكان العبيد يُباعون في الاسواق كالسلع وكان لكلّ من وجوه الرومان بينهم الألوف المؤلّفة منهم ذكور ومنهم اناث يتصرّفون بهم كما يشاؤون لهم عليهم حقّ الحياة والموت فيتلهّون بهم ويلقونهم للسباع. وكان الوفٌ منهم ليس لهم شغلٌ الّا ان يبسطوا الجمهور بالمقاتلة والمجالدة والمسايفة فيقتل بعضهم بعضاً في المراسح او يقاتلون الحيوانات الضارية بهجةً للشعب لتقرّ اعين النظّار برؤية موتهم

وكانت العائلة اسّ المجتمع البشريّ قد ضعفت روابطها حتى كادت تتلاشى فان أبا العائلة كان لا يرى في امرأته غير آلة لسدّ شهواته الوخيمة فيطلّقها لادنى علّة وكان الولد معدوداً كملكه الخاصّ يتحكّم في حياته وموته دون مراجعة ..

اما ملوكهم وقياصرتهم فانك لو استقريت اعمالهم وسيرتهم المفردة والاجتماعيّة لأخذك اشدّ الاندهال من فظائعهم. فانّ اسماء طيباريوس وكلوديوس وكاليغولا ونيرون ودوميسيان مكتوبة في التاريخ باحرف دمويّة لا يتتبع القارئ تفاصيل حياتهم الّا تقشعرّ منهُ الفرائص وترجف الابدان فيصرخ: ويلاهُ كيف استطاع العالم ان يعيش تحت سلطة مثل هؤلاء الطغاة. بل تجد في سير اشهرهم كاوغسطوس

قيصر وشبسيانوس وطيطوس وطرايانوس ما لا ينطبق مع ثناء بعض المعاصرين . فانَّ اوغسطوس اقام لنفسه هيا كل ليُعبد فيها كاله . وشبسيانوس قتل ظلماً كثيرين من كبار الدولة . وطيطوس ألقى في مرسح بيروت للوحوش ثمانين الفاً من اسرى اليهود بعد الحرب الاورشليميَّة . وطرايانوس امر بقتل النصارى واستسلم للواط النجس وهلم جرًّا

*

هذا بعضٌ من عدّ ونقطة من وبل ولو شئنا لاتَّسعنا كثيرًا في هذه المادَّة التي تستغرق في كتب أهل البحث المجلَّدات الضخمة الَّا انَّ في اسطرنا القليلة ما يشعر بسوء حالة العالم الادبيَّة في تلك العصور الهمجيَّة . وهذا ما حدا بتلك الامم الى أن تطلب لها مخلّصاً يكسر اغلالها وينقذها من ورطة فسادها

بل قل انَّ تلك الرغبة الى مخلّص للبشر وفسادٍ للانام كانت مطبوعةً في قلوب الشعوب منذ القديم ترقى الى اصول كيانها فكلُّها تشهد انَّها كانت في بدء امرها في مرتبة شريفة وسعادة تامَّة سقطت منها بذنب اقترفهُ اوَّل اجدادها وجذور فروعها فوُعدت من رحمة خالقها بمنقذٍ يمدُّ اليها يد المساعدة ويتنازل الى ضعفها ليخلّصها من رقّ عبوديَّتها . فاسمع بعض اقوال امتها تجدها صدًى لما ورد في سفر التكوين حيث اخبر موسى بسقوط الابوين الاوَّلين واردف ذلك بوعد الخلاص على يد نسل المرأة حيث قال الله للحيَّة التي استتر بها ابليس لغايته الذميمة (تكوين ٣ : ١٥) : « أجعلُ عداوةً بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها فهو يسحق رأسكِ وانت ترصدين عقبهُ »

فان فتحتَ كتب الهنود وتصفَّحت اساطير المصريين والفرس والصينيين واليونان والرومان رددَّت اقوالُهم على مسامعك صوت اسفهم على ما فاتهم من السعادة القديمة وأملهم بمستقبل يُعيد اليهم ما خسروه على يد الهٍ مرسل من علُ ليشفي جروحهم ويبرئ اسقامهم . وهذه التقاليد الصحيحة المقرّرة التي كساها كلٌّ من الشعوب بتوالي العصور حللًا من التخيُّلات الباطلة لا يمكن تعليلها الَّا بان يُقال انَّها استقتها من معين واحد ومن اصلها الاوَّل الشامل لكافَّة الامم البشريَّة

فان استفتينا الهند وفارس لانَّ اهلها اقرب من مهبط الوحي الاوَّل لوقوعهم

في البلاد التي يغلب الرأي على كونها موقع جنان عدن وجدنا في تقاليدهم اشارات واضحة الى هبوط الجنس البشري وخلاصه على يد إله رحوم. فانّ اهل الهند كانوا يزعمون انّ حيّة تُدعى شَيْن او كاليوغ فغثت سمّها فسمّت الارض واهلكت سكّانها فنزل إله من السماء اسمهُ شيڤن فلبس جسماً بشريًّا وامتصّ السمّ فنجا العالمون بفضله. ومن خرافاتهم المنبئة بانتظارهم لمولود مخلّص العالم قولهم عن الههم ڤشنو انهُ يتجسّم يوماً بجسم بشريّ لينفي الشرور التي عمّت المخلوقات بفعل سيرا عدوّ البشر

وكان من اعظم ذبائح الهنود ذبيحة يدعونها إكيام ويقدّمون فيها لآلهتهم حَمَلًا للتكفير عن الذنوب وكانوا يتلون في هذه التقدمة صلاةً من جملتها قولهم: «متى يا تُرى يولد المخلّص المنتظر؟ متى يأتي الفادي لينقذنا (١)»

امّا الفرس فاشاروا الى هذا التقليد بان وضعوا للعالم إلهين متناقضين اله الشرّ يدعى «اهريمان» واله الخير يسمّونهُ «هرمزد». فاله الخير تلافياً للشرور التي ادركت البشر بخباثة اهريمان اخذ جسداً وظهر للبشر على صورة ميثرا فانتصر من اله الشرّ وشرك الجنس البشري بغلبته

ويُضاف الى هذه الشهادات ما نقلهُ ابو الفرج بن العبري في كتاب مختصر الدول حيث روى عن زرادشت مشترع الفرس ما حرفهُ (ص ٨٢ من طبعتنا):

«في هذا الزمان كان زرادشت معلم المجوسيّة واصلهُ من بلد اذربيجان وقيل من بلاد اشور وقيل انهُ من تلامذة اليا النبي. وهو عرّف الفرس بظهور السيّد المسيح وامرهم بحمل القرابين اليهِ واخبرهم انّ في آخر الزمان بكرًا تحبل بجنين من غير ان يمسّها رجل وعند ولادتهِ يظهر كوكب يضيء بالنهار وتُرى في وسطهِ صورة صبيّة عذراء. وانتم يا اولادي قبل كل الامم تحظون بظهورهِ فاذا شاهدتم الكوكب امضوا حيث يهديكم واسجدوا لذلك المولود وقرّبوا قرابينكم فهو الكلمة مقيمة السماء»

ومثلهم الصينيّون فان كنفوشيوس مشترعهم صرّح غير مرّة بمعتقدهِ بمخلّص يقوم يوماً ليرشد العالم قال في احد كتبهِ المدعو بالوسط الثابت (٢): «اني انا

---

١) راجع كتاب اوضحت بدين عن تقاليد الشعوب في مجيء المسيح (Bedin: *Les Traditions Messianiques*, p. 253-255)

(L'Invariable Milieu, trad. par *Abel Rémusat*, p. 144, 145) ٢) الطب

كنفوشيوس قد بلغني انهُ سيقوم في بلاد الغرب رجلٌ بارّ مرسل من السماء وحاصل على السلطة التامّة في الارض وهو يباشر من المبرّات ما لا يحصى عددهُ امّا اسمهُ فلا يستطيع احد ان يفوه بهِ وانا كنفوشيوس قد بلغني انهُ القدّوس الحقّ»: وقال في كتابهِ تشونغ يونغ : «سوف يقوم امير حكيم عالم بسّنن السماء واحكام الاله جامع في شخصهِ كلّ الكمالات . الفضائل تنمو لهُ كلّ الامم والقبائل حتى ابعدها حدودًا واعرقها في الهمجيّة لأنّ حكمتهُ واسعة لا يُسْبَر غورُها ولا ينفد معينُها »

وسبق كنفوشيوسَ فيلسوف صينيّ آخر يُدعى مانتيوس ذكر المخلّص المنتظر لنجاة الامم وشبّههُ بمطر جَرْد يحيي الارض بمياههِ فقال : « ان الشعوب في انتظار المرسل من السماء كما تنتظر الارض اليابسة الندى والمطر لتنتعش بهما » . فكأنك تسمع بهذا القول صدى نبوّة اشعيا حيث كان يصرخ الى رجاء اسرائيل المنتظر (٤٥ : ٨) : « أقطري ايتها السماء من فوق وتُمطر الغيومُ الصدّيقَ . ولتنفتح الارض ولتنشر الخلاص ولتُنبت البرّ . وكان لاهل الصين صورة تدلُّ على ذلك النبيّ الرمزيّ فيجعلون النعامة في حجر امرأة دلالة على انّ المولود المنتظر سوف يولد من امرأة وان كان اصلهُ من السماء »

ومن اقدم الشعوب التي يُرى فيها تقليد الاله المنقذ للبشر المصريّون فانّهم رووا في اخبارهم الدينيّة انّ الحيّة تريفون تسلّطت على الارض والبحر فسكبت عليهما ضروب البلايا والاضرار لولا انّ الخ يدعى « هورس » ابن الالهة ايزس انحدر الى الارض وحارب التنين وكشف عن الخلائق اوجاعها وكُربها

وان اقتربنا من الشعوب التي ورثت عن الامم القديمة علومها ورقيّها وجدنا تقاليد اخرى تؤيد هذه الحقيقة فانّ اليونان زعموا بانّ بطلًا يدعونهُ بروموثاوس اراد ان يختلس من السماء نارها لعلّهُ يُضحي بذلك شبيهاً بالآلهة لكنّهُ أُخذ بذنبهِ فطُرح على جبل مقيّدًا لتصير احشاؤهُ طعاماً للنسر كاسر « فآلامهُ هذه لا يستطيع بشر ان ينقذهُ منها الّا إله ينزل من السماء ويكفّر عن ذنب المجرم بما يقاسيهِ هو من

١) راجع (Tchoung-Young: trad. de *Pauthier*, 1841, p. 66-69)

٢) نقلهُ شمدت (Schmith: *Rédemption du genre humain*, p. 41)

العذابات بتضحية نفسه عنهُ ». وهذا التقليد الذي خصَّهُ رواة الخرافات ببرقلس الهيرقلي رواهُ الشاعر اسخيل (Eschyle) في رواية پرومو ثاوس وپلوترخس المؤرخ على صورة جديرة بمنتظر الامم واشبه بالحقيقة كما ذكرناها

واجلى منهُ ما ورد في كتاب افلاطون الذي عنوانهُ ألقيباذ (Alcibiade) فهناك يوجهُ افلاطون كلامهُ الى تلميذه فيقول لهُ ما تعريبهُ : « دَعْنا يا القيباذ ننتظر رسول السماء ليلقننا واجباتنا نحو الآلهة ونحو البشر وانّنا نؤمل من جوده تعالى ان ذاك اليوم قريب »

وكما اليونان هكذا ايضاً اثبت الرومان التقليد عينهُ عن نجاة البشر من شرورهم : فكلّ من درس اللاتينيّة يعرف القصيدة الزراعيّة (Églogue) الرابعة التي نظمها الشاعر ڤرجيليوس حيث يذكر قرب تتمّة ما تنبأت عنهُ احدى السبلّات (Sibylles) وكنّ سبع فتيات يعددهنّ الرومانُ مُلهمات من الالهة لكشف اسرار المستقبل . فذكر ڤرجيليوس سبلّة كوما وروى قولها بانّهُ « سيقوم عمّا قليل نسلٌ الهيّ يطهّر الارض من شرورها ويعيد للبشر ما سلبوهُ من السعادة ». نعم انّ ڤرجيليوس قد وَهِمَ فظنَّ ان هذا المولود هو ابن احد قناصل الرومان لكنّهُ بذكرهِ لتلك النبوّة قد كان شاهداً حقًّا على التقليد العام في ميلاد المخلّص لنجاة العالم

وفي ذكرهِ لتلك السبلّة شاهد آخر على انّ الامر كان شائعاً بين الرومان الذين كانوا يعتبرون رواية السبلّات كوقائع لا شكّ في نجازها ويحفظونها في هياكلهم

وقد جاء في تواريخ ذلك العهد عند الرومان ما يثبت اعتقادهم بخروج ملك قدير من اليهودية يدبّر الامم ويهديها . قال المؤرخ سويتونيوس في ترجمة القيصر ڤسپيانوس : « كان شاع في الشرق خبر قديم ومتواتر ان الاقدار قد حتمت بانّ قوماً يأتون من الشرق فيتولّون تدبير الامور (١) » وقال تاقيتوس المؤرخ : « كان كثيرون يعتقدون انهُ ورد في اسفار الكهنة الاقدمين انّ هذا في الزمان يفوز الشرق وانّ

---

(١) هذا قولهُ بالحرف : Percrebuerat oriente toto vetus et constans opinio, esse in fatis, ut eo tempore Judæa profecti rerum potirentur. (*Sueton., Vita Vespasiani.* 4)

رجالًا يقدمون من اليهودية يتولون التدبير (١ » وكان سبقهما الخطيب شيشرون في كتابه المعنون بالتنجيم فيذكر هذه النبوة الشائعة بين الرومان ولا يدري في من تتحقق ومتى تتم (٢

وشاع بين اهل غاليا ان عذراء ستحبل بمخلص العالم فاتخذ لهم كهنتهم المعروفون بالدرويد (Druides) هيكلًا في مدينة شرتر كتبوا على واجهته « للعذراء الوالدة » (Virgini pariturae). وقد وجد الفاتحون لاميركا تقاليد مثل هذه في المكسيك وبلاد بيرو

فيؤخذ من كل هذه الشواهد ومن غيرها ايضاً انه عند ظهور المسيح كانت الامم على اختلاف نزعاتها وامكنتها متفقة على اعتقاد ظهور رجل عظيم او ملك او اله يصلح ما غلب على الارض من الفساد وسوء الاحوال (٣ . وهذا الرجل سوف يكون خروجه من الشرق (وبالنسبة الى الصين من الغرب) وتكون اليهودية موطنه

*

هذا وان كان الامر ثابتاً مقرراً لدى الملل الاجنبية فلا غرو ان يكون اثبت واشيع لدى اليهود فان تاريخ هذه الامة منذ وقع اختيار الرب على رأسها الاول وجدها الاعلى اعني ابراهيم الخليل يثبت ذلك بادلة وبراهين لا تحصى . بل يجب القول ان وجود الامة اليهودية كلها مترتب على مجيء المسيح

واول ما يلوح ذلك في دعوة الرب لابراهيم ابي المؤمنين فانه اذ افرزه افقه من بين اهل الشرك واخرجه من وطنه اراد ان يوضح له سبب اختياره له هي ان يبارك الامم في شخصه بالمولود الخارج من نسله (سفر التكوين ١٨ : ١٨ و ٢٢ : ١٨).

---

١) وهذا نص تاسيتوس Pluribus persuasio inerat, antiquis sacerdotum litteris contineri, eo ipso tempore fore ut valesceret Oriens profectique Judæa rerum potirentur (*Tacite, Hist.* 5)

٢) راجع كتابه (Cicéron : *de Divinat.* I, c. 54)

٣) لو عقل عبد الوهاب التير رأى في الشواهد التي نقلها في كتابه « الشاهد الوثنية في الديانة النصرانية » دليلًا واضحاً على تقاليد الامم في مجيء السيد المسيح واعمالهِ لا نقلًا عن تلك الامم فيمنون كتابه « الرموز الوثنية عن صحة الديانة المسيحية »

وبعد أن فضّل الله اسحاق ابن الحرّة على اسمعيل ابن الأمة وعده في الرؤيا (تك ٢٦ : ٥) « بانهُ سيبارك في نسله كل الامم ». ثم جعل الملك لاصغر ابنيه يعقوب فانطق ابا الاسباط ساعة وفاته حيث تنبأ لابنه يهوذا بالسلطان على اخوته وبخروج المسيح من ذرّيته فقال (تكوين ٤٩ : ٨—١٠) وفي قوله ما ينفي كل شك عن اصل المسيح وزمن ظهوره : « يهوذا اياك يحمد اخوتك . يدك على قفا اعدائك . يسجد لك بنو ابيك . يهوذا شبل اسد . من فريسة صعدت يا بني . جثم وربض كاسد وكلبوة فمن ذا يقيمه . لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب ». فشيلو المذكور على اتفاق رأي كل المفسرين اليهود وسواهم هو المسيح . وزمن ظهوره عند زوال صولجان الملك من يهوذا وبني اسرائيل اعني يوم تولّى هيرودس الادومي على اورشليم . وتمّ الخطب بعد ذلك بمدّة عند خراب اورشليم اذ فقد بنو اسرائيل كل سلطة ملكيّة ومدنيّة وقضائيّة وتشتتوا في كل انحاء العمور . فاستطاع يوحنّا الحبيب ان يهتف في كتاب الرؤيا (٥ : ٥) مشيرًا الى نبوّة يعقوب : « قد غلب الأسد من سبط يهوذا »

وكما سبق يعقوب وعيّن السبط الذي منهُ سيولد المسيح مع زمن ظهوره لبني اسرائيل كذلك موسى النبي لم يمكنهُ ان يسكت عن مجيئه اذ لم تكن شريعتهُ الّا تهيئةً لشريعة ذاك الذي سيفدي اسرائيل وايّاهُ تنتظر الامم . ففي سفر تثنية الاشتراع (١٥ : ١٥ — ٢٠) بعد ان حذّر موسى من الالتجاء الى السحرة والعرّافين صرّح بمجيء نبيّ من اسرائيل يرشدهم ويجب عليهم الخضوع لهُ فقال : « يقيم لك الربّ إلهك نبيًا من بينكم من اخوتك مثلي لهُ تسمعون . . . قال لي الربّ : اقيم لهم نبيًا من بين اخوتهم وألقي كلامي في فيه فيخاطبهم بجميع ما آمرهُ بهِ واي انسان لم يسمع كلامي الذي يتكلم بهِ باسمي فاني اجاسبهُ عليهِ ». فما اصرح هذا القول وما ادلّهُ على السيد المسيح كلمة الله من نسل اسرائيل الذي اشار بازاء اليهود الى هذه الآية خصوصًا حيث قال لهم (يوحنّا ٥ : ٣٦ — ٤٧) : « انتم تبحثون في الكتب لأنكم تحسبون انّ لكم فيها الحياة الابديّة فهي تشهد لي . . لكم من يشكوكم عند الاب موسى الذي فيهِ رجاؤكم فلو كنتم تؤمنون بموسى

لكنكم تؤمنون بي لأنهُ كتب عني فان كنتم لا تؤمنون بكتبهِ فكيف تؤمنون بأقوالي »

وجاءت بعد هذا نبوّات لا تُحصى زادت الامر ايضاحاً بحيث يجوز القول انَّ اسفار العهد العتيق انما هي اوّل انجيل المسيح لأنها تحتوي كلّ تفاصيل حياتهِ فتصفها وصفاً احقّ بوصف مؤرخ منها بوصف نبيّ وليس في امور عامّة فقط بل في ادقّ ظروف حياة المسيح كما سترى بحيث لا يُقبَل يوم الدين عذرٌ لمن لم يتبع الحقّ بعد معرفتهِ (لهُ بقيّة)

قصّة ارشليدوس الحبيس

اثر نصراني نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

تَوطِئَة

بين المخطوطات التي وجدناها في حلب قبل عشر سنوات كتاب متوسّط الحجم مستطيل مكتوب على ورق لبّادي صفيق وحبر اسود في المتن واحمر واخضر في العناوين بمجموع صفحاتهِ ١٥٦ وتاريخ كتابتهِ سنة ١٧٨٣ يحتوي قصص بعض القديسين والشهداء اوّلها قصّة احد القديسين النسّاك يسمّى ارشليدوس الحبيس في ١٨ صفحة . وهي قصّة ظريفة مؤثرة في القلب فيها اشارة الى مدرسة الفقه الرومانية في بيروت ما يدلّ على انَّ الحبيس المذكور عاش في اواخر القرن الرابع وهناك ايضاً ورد ذكر قدّيس اسمهُ رومانوس كان انشأ في جهات فلسطين ديراً حيث ترهب ارشليدوس . فزادنا ذلك رغبةً في نشرها لقدمها

ثم اخذنا نبحث في اسفار القدّيسين كاعمال البولندستين وغيرهم من جامعي اخبار الاولياء. لعلّنا نحظى ببعض المعلومات عن ارشليدوس الموما اليهِ فلم نقف لهُ على ذكر فاخذنا العجب من ذلك وتصفّحنا السنكسارات المختلفة للروم والارمن والسريان وغيرهم فرجعنا بالخيبة . وكان حضرة الخوري ي . فورجه (Forget) تربل مدرستنا قبل ٢٥ سنة باشر بطبع سنكسار للاقباط في مطبعتنا فراجعناهُ واذا بنا قد عثرنا على ضالّتنا فهناك في الجزء الاوّل (ص ٢٠٨) واليوم الرابع عشر من شهر طوبه الموافق لتشرين الاول خلاصة حياة « الانبا ارشليدوس »